مدخل جغرافي وتاريخي لليمن

اثار اليمن

المرحلة الثالثة

م.م علي احسان عبد علي

مدخل جغرافي وتأريخي

اليمن : بفتح الياء المثناة التحتية والميم وفي آخرها نون ، وينسب اليها يمني ويماني، وهي بلاد عريضة كبيرة ، وقيل لها : اليمن لأنها يمين الأرض وقيل اشتـق من اليمن والبركة[1] . وقيل سمي باليمن لأنه عن يمين الكعبة وقيل : سمي بذلك (أي باليمن) قبل ان تعرف الكعبة ، لأنه عن يمين الشمس ، والعرب يتيامنون والجهة اليمنى رمز الفأل الحسن[2].

كما سميت اليمن بالخضراء لكثرة مزارعها ونخيلها وثمارها[3] . وهي مشهورة بخصب أرضها ووفرة مياهها وكثرة معادنها[4] . وقد أشار القرآن الكريم الى ما كانت عليه اليمن من حضارة وعمران ، وهو قولـه تعالى: (**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ**

---

(١) الجوهري ، اسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣ هـ) : الصحاح في اللغة والعلوم ، تحقيق : احمد عبد الغفور العطار ، ط١ ، بيروت ، دار العلم ، ١٩٥٦م ، ج٦ ، ص٢٢٢٠ ؛ الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد (ت ٥٣٨ هـ) : الامكنة والمياه والجبال ، ١٩٥٦م ، ص٢٣٢ ؛ ياقوت الحموي ، ابي عبد الله شهاب الدين (ت ٦٢٦ هـ) : معجم البلدان ، ط١ ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٩٣م ، ج٥ ، ص٤٤٧ .

(٢) الفراهيدي ، ابو عبد الرحمن الخليل (ت ١٧٥ هـ) : العين ، تحقيق : مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ، ط٢ ، دار الهجرة ، ١٤١٠ هـ ، ص٣٨٧ ؛ البكري ، أبو عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ): معجم ما استعجم ، تحقيق : مصطفى السقا ، ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣م ، ج٤ ، ص١٤٠١ .

(٣) الهمداني ، أبي محمد الحسن احمد بن يعقوب (ت ٣٣٤ هـ) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، ط١ ، صنعاء ، مكتبة الارشاد ، ١٩٩٠م ، ص٩٣ .

(٤) البكر ، منذر عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ، ١٩٨٠م ، ص٧٥ ؛ حسن ، حسين الحاج : حضارة العرب في صدر الاسلام ، ط١ ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ص٢٢ .

جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ)[1] .

كما ورد في سجلات الملك الآشوري سرجون الثاني(٧٢١ – ٧٠٥ ق.م) ، لفظة (يا – ما – نو) ، ويرجح إنها تعني اليمن ، كما ورد ان بلاد اليمن وضعت في وثيقة بابليـــة عثر عليها في مدينة نفر جاء فيها : (أرض يمان طاهرة – أرض يمان مشرقة – يمان فردوس الأرض)[2].

وفي النصوص العربية الجنوبية (المسند) وردت كلمة (يمنت – يمنات) ، كمنطقة صغيرة ذكرت في نص يعود الى ايام شمر يهرعش (٣٠٠ م) بعد كلمة حضرموت في الترتيب (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت) ، وتعني كلمة (يمنت) في العربية الجنوبيـــة (الجنوب)[3].

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ١٥ – ١٦ .

(٢) باقر، طه : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، ط١ ، دار الوراق ، لبنان ، ٢٠١١م ، ج٢ ، ص٢١٨ ؛ الفرج ، محمد حسين : الحضارة اليمنية العربية ومملكتها العظمى سبأ ، مجلة دراسات يمنية ، العدد ٢١ ، صنعاء ، ١٩٨٥م .

(٣) البكر : دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص٧٥ ؛ سليم ، احمد أمين : جوانب من تاريخ وحضارة العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص١٩ ؛ عبد الحميد ، سعد زغلول : في تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٥م ، ص٧٠ ؛ زيدان ، جرجي : العرب قبل الاسلام ، تقديـــم : حسين مؤنس ، ط٢ ، دار الهلال ، مصر ، ١٩٢٢م ، ج١ ، ص١١٩ .

ويبدو ان كلمة (يمنت) هي جنوب شبه الجزيرة العربية ، مقابل (شامت) أرض الشمال ، شمال الجزيرة العربية ، ان هذه التسمية قديمة ولكن نتيجة للتجزئة في رقعة السياسة اليمنية لم تتمكن من النمو ، لذلك ظهرت نحو القرن الرابع الميلادي [١].

واطلق عليها اليونان والرومان اسم " العربية السعيدة " (Arabia Felix) [٢] . وجهدوا بكل ما لديهم من قوة لدمجها في امبراطوريتهم ، فقد كانت تمثل الى العالم القديم الجسر المؤدي الى الهند ، والسوق الذي تباع فيه جميع سلع الشرق الادنى القديم من ذهب واحجار كريمة ، وتوابل غالية الثمن [٣] .

الجدير بالذكر ان زراعة الافاوية ساعدت على ازدهار تجارة اليمن مع البلاد الاخرى ، ولاسيما بلاد الرافدين وبلدان البحر المتوسط حيث كانت تصدر اليهم المنتوجات ، كما ساعد وقوعها على طريق الهند البحري على جعلها مركزاً هاماً لتجارة الترانسيت ، وعلى سيطرة بحاريها على ملاحة البحر الأحمر والبحر العربي [٤].

ذكر ان اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ثم يلتوي على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان ، فينقطع من بينونة ، وبينونة بين عمان والبحرين ، وليست بينونة من اليمن . وقيل : حد اليمن من وراء تثليث وما سامتها الى

---

(١) راجع شكري ، محمد سعيد : جغرافية اليمن في القرن الاول للهجرة ، مجلة دراسات تاريخية ، العددان ٢١ – ٢٢ ، ١٩٨٦م ، ص٢٠٦ .

(٢) سالم ، عبد العزيز : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، د.ت ، ص١٨ ؛ طقوش ، محمد سهيل : موسوعة الحضارات القديمة ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ٢٠١١م ، ص١٤٥ ؛

AD Orieniid and Philo Drss : A history of the Arabia Felix or Yemen , 1970 , P.1 .

(٣) هولفريتز ، هانز : اليمن من الباب الخلفي ، تعريب : هنري حماد ، بيروت ، ١٩٦١م ، ص٢٧ .

(٤) صالح ، عبد العزيز : تاريخ شبه العربية في عصورها القديمة ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٧٧ .

صنعاء وما قاربها الى حضرموت والشحر وعمان الى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود واليمن تجمع ذلك كله [1] .

وقد حددها الاغريق بخليج العرب من الشرق ، وبحر العرب من الجنوب والبحر الأحمر من الغرب ويسمونه خليج ، وتحدها البادية من الشمال [2] . وطبقاً لهذا التحديد يدخل في بلاد اليمن حضرموت والشحر والعروض واليمن ومعظم الحجاز وتهامة ونجد .

ويبلغ طول هذا الاقليم من خليج عدن جنوباً ، حتى نجران شمالاً حوالي (٥٥٠ كم) وعرضه من الحديدة حتى حضرموت نحو ألف كيلو متر [3] .

وذكر اليعقوبي ان كور بلاد اليمن تسمى (مخاليف) ، وهي أربعة وثمانين مخلافاً، والمخلاف اشبه بالمنطقة الادارية المحصنة ، يحكمها أمير يقال له (قيل) وجمعه (أقيال)، ويتكون المخلاف من مجموعة المحافد (القصور) ، ويعرف صاحب القصر بـ (ذو) أي صاحب ، فيضاف الى اسم المحفد ، فيقال مثلاً (ذو غمدان وذو ريدان) [4] . كان

---

(١) الغنيم ، عبد الله يوسف : اقاليم الجزيرة بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة ، الكويت ، ١٩٨١م ، ص٣٧ .

(٢) احمد، محمد خليفة حسن : رؤية عربية في تاريخ الشرق الادنى القديم وحضارته، دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص١٦٥ ؛ عباس ، شهاب محسن : جغرافية اليمن الطبيعية ، صنعاء ، ١٩٩٤م، ص٢ .

(٣) محمود ، حسن سليمان : تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٩م ، ص٦ ؛ الحداد، محمد يحيى : تاريخ اليمن السياسي ، ط١ ، دار وهدان ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ج١ ، ص١٢٥ ؛ نيلسن، ديتلف وآخرون : التاريخ العربي القديم ، ترجمة : فؤاد حسين علي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ١٩٥٨م ، ص٥٦ .

(٤) احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢ هـ) : تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، ج١ ، ص٢٠١ .

(٣) سورة النمل ، الاية : ٢٩- ٣٣ .

اهل اليمن في بداية حياتهم قبائل متفرقة ، وكانت كل قبيلة تدير شؤونها بنفسها يشرف عليها شيخ يجعل من التقاليد والاعراف الاجتماعية والدينية قانوناً وشريعة يدار بها الحكم داخل تلك القبيلة ، وعندما عرف اهل اليمن الاستقرار السياسي وتطوره نشأت لديهم الدول الموحدة واصبح نظام الحكم ملكياً وراثياً ، وقد حمل الحاكم في الدول اليمنية القديمة لقب "مكرب" ، ثم تسمى باسم الملك بعد ذلك . كما كان للملك مجلس يساعده في الحكم ، ويقدم له المشورة ، وفي قصة سبأ المذكورة في القرأن الكريم مايشير الى نظام الشورى السائد في الدول اليمنية القديمة ، كما في قوله تعالى : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾[٣].

إما المناخ ، فيتميز مناخ اليمن بحصوله على امطار موسمية في فصل الصيف تكفي لنشوء مراعٍ خضراء ، وزراعة منتظمة في اليمن. وقد نجح أهل اليمن في هذا المجال نجاحاً كبيراً اذ عرفوا كيف يستغلون تربتهم ، فعملوا مدارج على سفوح جبالهم ، وعلى المرتفعات، أصلحوا تربتها، وذلك لحصر مياه المطر عند نزوله ، ضماناً لدخوله التربة واروائها، اذ زرعوا تلك المدارج او السلالم العريضة مختلف المزروعات ، فأمنوا بذلك خيراً وافراً لهم جعل اليمن من اسعد بلاد شبه جزيرة العرب[١] .

---

(١) حموده ، عبد الحميد حسين : تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط ، دار الثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ص٢٧ ؛ الهاشمي ، عبد المنعم : موسوعة تاريخ العرب ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، ٢٠٠٦م ، ج١ ، ص٨ ؛ السعيد ، عصام : تاريخ العرب في العصور القديمة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٠ م ، ص٤٩ – ٥٠ .

وكان من اهم ما اشتهرت اليمن بزراعته في العصور القديمة البخور واللبان والصموغ والمرّ ، وكان اللبان ينمو في منطقة مهرة وظفار ، فقد تميزت هذه المناطق بإنتاجها أفضل أنواع اللبان واجودها. وكان طريق اللبان يمتد من ميناء قنأ في مصب وادي ميفعة على بحر العرب الى غزة على البحر المتوسط مروراً بمدينة شبوة ومأرب ثم يمر بوادي الجوف ومنه الى نجران حيث يتفرع الى فرعين [١] .

وقد اصبح لليمنيين بفضل التجارة اتصال كبير باليونان والرومان والبابليين والفينيقيين[٢].

كما أسس اليمنيون مراكز تجارية كانت تقيم فيها جاليات من اليمنيين على طرق القوافل، في وسط شبه الجزيرة وشمالها ، وعبر بعضهم الى الشاطئ الافريقي ، وتاجروا واستقرت جاليات منهم في ارتيريا والصومال [٣] .

وقد حدد اليمنيون لهم طريقين رئيسيين تسير القوافل عبرهما محملة ببضائعهم وبتجارتهم وتجارهم وهما :

الأول / الطريق البري الموازي للبحر الاحمر الذي تسلكه القوافل بين اليمن والشام عبر الطائف ومكة ويثرب ، وتتفرع منه خطوط تتوجه صوب الغرب والشرق والشمال الشرقي وهذا الطريق يسمى بطريق العطور او البخور [٤] .

---

(١) مهران ، محمد بيومي : دراسات في تاريخ العرب القديم ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، د.ت ، ص٣٣٦ ؛ الشريف ، يوسف : اليمن وأهل اليمن ، ط١ ، دار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٨ م ، ص٢٥ .

(٢) فخري ، احمد : دراسات في تاريخ الشرق القديم ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص١٣٢ ؛ يحيى ، عزة علي عقيل : البرونز في اليمن القديم ، ط١ ، دار الكتب ، صنعاء ، ٢٠١٠ م ، ج١، ص٣٧ .

(٣) الويسي ، حسين بن علي : اليمن الكبرى، ط٢ ، مكتبة الارشاد، صنعاء ، ١٩٩١م ، ج١، ص٢٤٧.

(٤) طقوش ، المصدر السابق ، ص١٥٦ – ١٥٧ ؛ العنزي ، سالم سمران سالم : طرق القوافل وآثارها في شمال جزيرة العرب ، ط١ ، ٢٠٠٧م ، ج١ ، ص٣٧ .

والثاني / طريق البحر الاحمر الذي يربط شرقي افريقيا بالهند وسيلان والصين وجنوب آسيا [١] . واما الطريق من بلاد العرب الجنوبية الى مصر ، فكان الطريق البري الموازي لساحل شبه الجزيرة العربية الى جنوب فلسطين ، او الطريق البري على طول الساحل الافريقي . وربما انتقلوا الى مصر على مراحل يتوقفون خلالها للمقايضة في الأسواق على سلعهم ، وشراء سلع آخرى يأتون بها الى مصر [٢] .

ووجه السبئيون انظارهم نحو العراق وموانئ الخليج العربي ، فاستخدموا الطريق الممتدة من نجران الى السليل ومن هناك الى الخليج والعراق [٣] . وهذا الطريق يمر على الحافتين الشرقية والشمالية للربع الخالي . فكانت القوافل تخرج من مأرب وتسير على امتداد خط الواحات الموجودة في وادي نجران فوادي الدواسر فوادي خليل ثم في الوديان الواقعة في جنوب نجد ثم في اقليم اليمامة [٤] ثم تعبر صحراء النفوذ الصغرى والدهناء شرقي نجد [٥] .

وقد عرفت بلاد اليمن قديماً بتجارة البخور والعطور والطيب والمرّ والصمغ والكافور والورس، وهو نبات طبيعي يشبه الزعفران يستخدم في الصباغة ، وكان لمنتوجات اليمن سوق رائجة في مصر الفرعونية ، اذ كان يستخدم اللبان اليمني والصومالي مع البخور في المعابد ، كما يستخدم في تحنيط الموتى [٦] .

---

(١) طقوش ، المصدر نفسه ، ص١٥٧ .

(٢) مهران ، محمد بيومي : دراسة حول العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد ٦ ، الرياض ، ١٩٧٦م ، ص٣١٢ .

(٣) علي ، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط٢ ، بغداد ، ١٩٩٣م ، ج٧ ، ص٢٤١ .

(٤) اليمامة : بفتح المثناة من تحت الميم والف وميم ، من الحجاز ، وقيل من العروض وهو الأصح ، وهي مدينة أكثر نخيلاً من سائر الحجاز . ينظر : أبو الفداء ، عماد الدين بن اسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢ هـ) : تقويم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٤م ، ص٩٦ – ٩٧ .

(٥) البكر : دراسات في تاريخ العرب قبل الاسلام ، ص١٣٥ ؛ فخري ، المصدر السابق ، ص١٢٧ .

(٦) اسماعيل ، حلمي محروس : الشرق الادنى القديم وحضارته ، مطبعة روان ، مؤسسة شباب جامعة الاسكندرية ، ١٩٩٧م ، ص٢٢٠ ؛ العزعزي ، نعمان احمد سعيد : التشريعات القتبانية والحضرية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ٢٠٠١م ، ص١٣٢ .

وقد احتكر التاجر اليماني البخور والراتنج ، وهو من مواد الترف التي لا غنى عنها لدخولها في العطور والمواد المستعملة في التجميل والتحنيط ، وكذلك احتكر تجارة اللبان الطبيعي ومصدره أشجار في حضرموت ، وأيضاً الأعشاب الزكية الرائحة والتوابل على أنواعها والمعادن الثمينة كالذهب والاحجار الكريمة واللؤلؤ والعاج والرياش الفاخرة[1] .

ومن اصناف التجارة كانوا يحملون الذهب والعاج والقصدير والاحجار الكريمة من الهند وكذلك الصندل والتوابل والبهارات والفلفل والقطن ، وكانوا يحملون من شواطئ افريقيا العطور والاطياب وخشب الابنوس وريش النعام والذهب والعاج ، إما ما يحمل من حاصلات اليمن نفسها فهو البخور واللبان وبعض الاحجار الكريمة كالجزع والعقيق ، ويحملون من سقطرى العود والند ، ومن البحرين اللؤلؤ ، وكانوا يفضلون حملها براً على القوافل فراراً من الاخطار في البحر الاحمر او الخليج العربي [2] .

وكانت المنتوجات التي انفردت اليمن بتصديرها الى بلدان الشرق الادنى ومنطقة البحر المتوسط مصدر رخائها وغناها ، كما كانت من اسباب تنافس الدول الكبرى عليها وذلك لشدة الطلب على شراءها . وقد تزايد الاقبال على شراء هذه المنتوجات اليمانية مثل العطور والافاوية والبخور التي كانت لها اهمية كبرى عند الناس في التاريخ القديم ، حيث كانت تستعمل في المعابد والطقوس الدينية والتحنيط [3] .

---

(١) بيرني ، جان جاك : جزيرة العرب ، تعريب : نجدة هاجر وسعيد الغز ، ط١ ، بيروت ، ١٩٦٠م ، ص١٣٠ ؛ فخري ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .

(٢) الويسي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٤٧ ؛ سيديو ، ل . أ : تاريخ العرب العام ، ترجمة: عبد الله علي الشيخ ، ط١ ، الاردن ، ٢٠٠٢م ، ص١٨ .

(٣) العلي ، احمد صالح : محاضرات في تاريخ العرب ، ط٤ ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٦٨م ، ج١ ، ص١٨ ؛ صالح ، المصدر السابق ، ص٤٣ ؛ فخري ، المصدر السابق ، ص١٢٥ .

وللاستدلال على مدى اهمية هذه المنتوجات (العطور والبخور والافاوية) ، فلآبد ان نذكر ان معبداً لآله امون في مصر القديمة استعمل في اوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد (٢١٥٩ جرة في سنة واحدة) ، وان الكلدانيين كانوا يحرقون سنوياً في معبد الإله بعل في مدينة بابل ألف كيلو غرام فيما يقال [١]

---

(١) العلي ، المصدر نفسه ، ج١ ، ص١٨ ؛ ستارك ، فرايا : البوابات الجنوبية لبلاد العرب ، ترجمة : علي محمد باحشوان ، جامعة عدن ، العدد ٢ ، ١٩٩٠م ، ص١٣٣ .